مسألة الخمر في همزية حسان بن ثابت الاسلامية

د. رشدي علي حسن
جامعة مؤتة – مؤتة – الكرك – الاردن

ملخص

يتناول هذا البحث مسألة الخمر في مقدمة همزية حسان بن ثابت الاسلامية تناولا مستفيضاً ، إذ يناقش مواقف النقاد القدامى والباحثين المحدثين من هذه المسألة ؛ لأنّ حساناً نظم هذه القصيدة في ظل الإسلام ولأن موضوعها الأساسي الدفاع عن الإسلام والنبي عليه السلام .

ولعل اهمية هذا البحث تبدو في محاولة تفسير هذه المسألة من حيث تاريخ نظم القصيدة ، وتاريخ تحريم الخمر تحريماً نهائياً ، وتحليل الأبيات تحليلا فنياً يؤكد اللحظات الشعرية القصيرة التي يختزل فيها الشاعر الزمن .

ويقوم منهج هذا البحث على دراسة القصيدة وتحليلها وبخاصة المقدمة التقليدية ، زيادة على عرض الآراء المختلفة في تفسير هذه المسألة التي اعترضت الباحثين قديماً وحديثاً ، ومناقشتها والخروج برأي فيها .

ويتخذ نص القصيدة من ديوانه المحقق عمدته في هذه المسألة ، مستعيناً ببعض المصادر والمراجع التي تناولت شعر حسان او همزيته .

تقديم :

عندما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وأقام الدولة الإسلامية ، شعرت قريش بخطر المسلمين يهدد مركزها . فجردت كل الوسائل لمحاربة هذا الخطر الإسلامي . وطبيعي ان يكون الشعر من بين هذه الوسائل إذ بدأت شاعرية قريش تستيقظ وتقوى بعد ان كانت قليلة الشعر في الجاهلية ، وبرز من ابنائها شعراء لم يعرفوا بالشعر قبل الإسلام كعبدالله إبن الزبعرى وضرار بن الخطاب والحارث بن هشام وابي سفيان بن الحارث إبن عبدالمطلب . ابن عم الرسول (ص) الذي ظل في صفوف المشركين في مكة يدافع عنهم ويحرضهم على المسلمين ، ويؤذي الرسول (ص) ويهجوه ، فانبرى له حسان بن ثابت يُسفّه قوله ، ويذبّ عن دينه سهام ابي سفيان بن الحارث وأذاه ، وإلى ذلك يشير في همزيته :

هجوت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ

وهذه الهمزية من شعر حسان بن ثابت الإسلامي الموثق الذي لا تحوم حوله شبهة من وضع او انتحال . وقد نظمها الشاعر في الرد على ابي سفيان بن الحارث ، قبيل فتح مكة ، وأبو سفيان شاعر من شعراء قريش الذين لم يُسلموا إلاّ عام الفتح (١) اولئك الذين كانوا قبل دخولهم في الإسلام ، يصدون عن سبيل الله ، ويصرون على الكفر به ، ويناصبون النبي (ص) العداء ، والذين دارت بينهم وبين شعراء الأنصار (حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة) كثير من المناقضات بعد هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة .

(١) أسلم أبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب ابن عم النبي سنة ٨هعام الفتح عندما كان الرسول متوجهاً من المدينة إلى مكة لفتحها أو يوم الفتح قبل دخوله مكة . (انظر السيرة النبوية لا بن هشام ج٤ ص١٢) .

مقدمة القصيدة التقليدية :

والقصيدة تنقسم إلى قسمين اساسيين هما : المقدمة التقليدية ، والموضوع الأساسي .

القسم الاول : المقدمة التقليدية التي تتألف من الأبيات العشرة الأولى . وتمثل ثلث القصيدة ، وهي (٢) :

عفَتْ ذاتُ الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاءُ (٣)
ديارٌ من بني الحَسْحاس قَفْرٌ ... تُعفيها الروامسُ والسماءُ (٤)
وكانت لا يزالُ بها أنيسٌ ... خلال مروجها نَعَمٌ وشاءُ (٥)
فدع هذا ولكن ما اطيفُ ... يُؤرقني إذا ذهب العشاءُ (٦)
لشعثاء التي قد تيمتْهُ ... فليس لقلبه منها شفاءُ (٧)
كأن خبيئةً من بيت رأسٍ ... يكونُ مزاجها عسلٌ وماءُ (٨)

---

(٢) حسان بن ثابت (ت ٤٠هـ تقريباً /٦٦٠م) : ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د. سيد حنفي حسنين ، ط دار المعارف بمصر ١٩٨٣ ، ص٧١ وما بعدها.

(٣) عفت : درست وامحت معالمها . وذات الاصابع والجواء وعذراء : أسماء مواضع ببلاد الشام كانت من منازل الغساسنة القدماء الذين كان حسان كثير التردد عليهم والمدح لهم في الجاهلية .

(٤) بنو الحسحاس : من العرب ، وقيل : إنهم من بني النجار قوم الشاعر . والروامس : جمع رامسة وهي الريح تدفن الآثار وتغطيها بما تحمله من رمال ، ومن هذه المادة الرمس بمعنى القبر .

(٥) النعم : الإبل وأما الأنعام فهي الماشية وتدخل فيها الإبل أيضاً ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا جمعوها أرادوا بها الماشية ومن بينها الإبل .

(٦) العشاء (بالكسر) : أول الليل بعد غروب الشمس .

(٧) شعثاء هذه التي شبب بها حسان بن سلام بن مشكم اليهودي ، وقال ابن الاعرابي : وشعثاء اسم امرأة حسان بن ثابت (انظر تاج العروس ، مطبعة حكومة الكويت ج٨ ص٢٨٢) وتيمته : أوقعته في حبها . والضمير في تيمته وفي قلبه يعود على الشاعر ، انتقل إلى ضمير الغائب على طريقة الالتفات .

(٨) الخبيئة : الخمر المخبوءة المصونة المضنون بها . بيت رأس : قرية بالأردن كانت مشهورة بخمرها الجيدة ولعلها التي تقع في أيامنا قرب أربد .

على انيابها او طعم غصٍّ ... من التفاح هصره الجناءُ (٩)

إذا ما الأشرباتُ ذكرن يوماً ... فهنّ لطيب الراح الفداءُ (١٠)

نُوليها الملامة إنْ ألمنا ... إذا ما كان مَغثٌ او لحاءُ (١١)

ونشربُها فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما يُنهنهنا اللقاءُ (١٢)

وهذه المقدمة تتكون من جزئين :

جزء يتحدث فيه الشاعر عن اطلال صاحبته التي عفت آثارها، ودرست معالمها وامحت رسومها ،لما تعرضت له من تعاقب الرياح والأمطار عليها ، بعد رحيل أصحابها عنها، الذين خلفوها قفراً لا أنيس بها، بعد ان كانت آهلة بهم تتدفق فيها مظاهر الحياة .

وجزء آخر من المقدمة يختلط فيه الغزل بحديث الخمر، يبدأه الشاعر بالحديث عن طيف صاحبته شعثاء الذي يزوره في نومه فيؤرقه ويثير في نفسه ذكريات حبه البعيدة التي عاش لها فترة من شبابه. ثم طوتها الرمال فيما طوت من منازلها وآثارها وتعيد هذه الذكريات الى نفسه صورة صاحبته

---

(٩) الأنياب : الأسنان . هصره : أماله والجناء (بالكسر) الشر .

(١٠) الأشربات : جمع أشربة هو جمع شراب وهو مايشرب من أي نوع كان وعلى اي حال كان . والراح : الخمر .

(١١) ألام الرجل يليم الإمة : اذا أتى مايلام عليه . والمغث : القتال ، الشر . واللحاء : السباب والمنازعة .

(١٢) نهنهه عن الأمر : كفه عنه وزجره كنهاه عنه . واللقاء يريد به لقاء الأعداء في الحرب . وعاب المرزباني قول حسان بأننا نشرب فنشجع ونهب كأنا ملوك إذا شربنا(المرزباني: الموشح ص٧٩).وقال البرقوقي :وقد فات هذا البعض أن حسان ليس بصدد مدح الخمرة والإشادة بها ، وإنما يقصد إلى وصفها في ذاتها وأثرها في نفس شاربها (البرقوقي : شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص٦٠ هامش١) . وجاء في بلوغ الأرب : وقد عابه عليه بعض الأدباء ، فزعم أنه فيه قصر في الفخر ، فإنهم إذا كانت الخمر تجعلهم ملوكاً وأسداً ،فليس في ذاتهم سيادة وشجاعة ،وإنما استفادوا ذلك في الشراب . والجواب أن المقام مقام صفة الخمر لا مقام الفخر ، فالمطلوب هنا إنما هو توفيتها حقها ، وكما قيل : إن الخمرة تظهر الشجاعة في الشجاع ، ولا تحدثها في الجبان (الآلوسي : بلوغ الأرب : شرح محمد بهجة الأثري ج٣ ص١٣٥ هامش٣) .

التي تيمت قلبه، وما كان يجده عندها من تلك المتعة الشهية التي يشبهها مرة بخمر جيدة جلبت من بيت رأس في بلاد الشام، ومزجت بالعسل المصفى والماء العذب، ومرة أخرى بتفاح غض تهدلت أغصانه لكثرة ماتحمل من ثماره، ويستطرد من هذه التشبيهات الى الحديث عن الخمر، فيصفها ويصف تأثيرها في نفوس شاربيها، وماتفعله بهم، حتى لتخيل لهم أنهم أصبحوا ملوكاً أو أسداً شجعاناً لايهابون اللقاء .

وبحديث الخمر ينهي الشاعر هذه المقدمة التقليدية وينتقل مباشرة إلى موضوع القصيدة الأساسي .

مسألة الخمر :

والمسألة التي تواجه الدارس في هذه القصيدة هي ذكر الخمر ، ووصفها ووصف تأثيرها في نفوس شاربيها في المقدمة. وبخاصة أنّ حسان بن ثابت شاعر النبي عليه السلام . وهو من الصحابة . وحديثه عن الخمر في مطلع قصيدة إسلامية يدافع فيها عن النبي وعن الإسلام (والإسلام يحرم الخمر) يثير التساؤل .

وقد وقف النقاد والباحثون أمام هذه المسألة مواقف متباينة .

اولاً : موقف القدماء : قال القدماء: إن هذه القصيدة نظمت في فترتين: نظمت مقدمتها في العصر الجاهلي ، ونظم موضوعها الأساسي في العصر الإسلامي ، وعليه معظمهم .

وردّدوا هذا الحكم الذي أطلقه مصعب الزبيري من أنّ «هذه القصيدة قال حسان صدرها في الجاهلية ، وآخرها في الإسلام» . وأنّ حسان «هجم على فتية من قومه يشربون الخمر فعيرهم في ذلك ، فقالوا ياأبا الوليد ، ماأخذنا هذه إلا منك ، وإنا لنهمّ بتركها ثم يُثبطنا عن ذلك قولُك :

ونَشْرَبُهـــا فَتَتْرُكنا ملوكـــاً
وأسداً مايُنَهْنِهُنَا اللِّقَـــاءُ

فقال : هذا شيءٌ قلته في الجاهلية ، والله ماشربتها منذ أسلمت. (١٣)

وتناقلوا قول الأصمعي: طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ؛ ألاترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي (ص) وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما ، وغيرهم لان شعره، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امريء القيس وزهير والنابغة ، من صفات الدّيار والرّحْل : والهجاء ، والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفةِ الحُمر والخيل والحروب والافتخار ، فإذا أدخلته في باب الخيرلان» (١٤) .

وشككوا في صحة البيت السابع :

علـــى أنيابهـــا أو طعـــم غـــض
مـــن التفـــاح هصـــره الجنـــاء

فقال السهيلي: البيت موضوع لايشبه شعر حسان ولالفظه ، وقال:« إن بعض فذه القصيدة قالها في الجاهلية، وقال آخرها في الإسلام» . (١٥)

---

(١٣) ابن عبد البر (يوسف بن عبدالله بن محمد ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق طه محمد الزيني ، ط١ ، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ١٩٧٠، ج٣ ص١٩ .

(١٤) المرزباني (محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص٨٥ . وابن عبد البر : الاستيعاب ج٣ ص٢٣ .

(١٥) السهيلي (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) : الروض الأنف في تفسير مااشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، ط الجمالية بالقاهرة ١٩١٤م ، ج٢ ص٢٨٠ .

وذهب ابن هشام الى ان حسانا قال هذه القصيدة يوم الفتح (١٦) .

وذكر الدكتور سيد حنفي حسنين في تحقيقه ديوان حسان أنه جاء في النسخ الأخرى (للديوان الشاعر) أنه قال (القصيدة الهمزية) في يوم فتح مكة (١٧) .

فالنقاد القدماء في هذه النصوص يرون مايلي :-

- ان مسألة الخمر ترتبط بموضوعات الجاهلية ،فحسان نظم هذا الشعر الخمري في الجاهلية ولم ينظمه في الإسلام .
- ان موضوع الخمر منحول على شعر حسان الإسلامي .
- ان شعر حسان في الإسلام أصابه ضعف ولين .
- ان القصيدة كلها نظمت يوم فتح مكة .

ثانياً : موقف الباحثين المحدثين: هذه النصوص المشيرة في كتب النقاد القدماء كان لها صدى كبير في دراسات الباحثين المحدثين . فأستندت طائفة منهم إليها، وبنت أقوالها عليها . وعارضت الطائفة الأخرى ماجاء به القدماء ورأت غير مارأوا ..

أ- الطائفة الأولى: استوحت هذه الطائفة أحكامها من أقوال القدماء فذهب الدكتور محمد خلف الله أحمد الى ان شاعرية حسان تقل وضوحاً وقوة في الإسلام عنها في الجاهلية : لأن الشعر في هذا العهد أصبح وسيلة عملية لا هدفاً فنياً ؛ وأن حساناً صار واحداً من مجموعة انصارية تقسم شعرها على ملاحاة المشركين والدفاع عن رسول الله، يقوم كل منها بنصيبه

(١٦) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ/٩٢٥م) : السيرة النبوية تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ط دار التوفيقية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ج٤ ص٣٠ وص٣٢ .

(١٧) حسان بن ثابت : ديوانه ص٧١ هامش ١ .

في الغرض المشترك، ورد هذا الكاتب كذلك قول القدماء من ان المقدمة كان مما نظمه في الجاهليه . ثم نظم بقية القصيدة في الإسلام فمي يوم الفتح (١٨) .

وتبنى الدكتور شوقي ضيف رأي ابن عبد البر في تحليل همزية حسان، فرأى أنّ الشاعر استهل قصيدته بذكر منازل صاحبته ، مشبباً بها ، ومستطرداً إلى ذكر الخمر على طريقة الجاهليين ، وأنّ القصيدة تتكون من جزئين : جزء نظم في الجاهلية ، وجزء نظم في الإسلام (١٩) .

وجعل محمد بهجة الأثري في شرحه كتاب بلوغ الأرب المقدمة جاهلية وبقية أبيات القصيدة الأخرى إسلامية مردداً رأي القدماء ، فقال : وكان حسان (رضي) قد ابتدأ هذه القصيدة في الجاهلية ثم كملها في الإسلام من قوله « عدمنا خيلنا إن لم تروها » ، فلا اعتراض عليه من أنه كيف يذكر في شعره الخمر ويمدحها ، فافهم ! ثم قال : وهذا البيت :

ونَشْرَبُهـا فَتَتْرُكنـا ملوكـاً
وأُسْداً مايُنَهْنِهُنَا اللِّقَـاءُ

آخر ماقاله (رض) من هذه القصيدة في الجاهلية (٢٠) .

وبرّأ محمد ابراهيم جمعة حسان بن ثابت من الخمر ، فقال : لم يقرب حسان الخمر في إسلامه ، فبريء منها فمه ولسانه ، بعد أن أغرم بشربها في جاهليته ، وتغنى بها في شعره فوصفها ، ووصف الساقي والندمان والشاربين.

(١٨) د. محمد خلف‌الله احمد : دراسات في الأدب الاسلامي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ، ص٥٢ وص٥٧ .

(١٩) د. شوقي ضيف : العصر الاسلامي (سلسلة تاريخ الأدب العربي) ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ ص٨٢ .

(٢٠) الآلوسي (محمود شكري ت ١٩٢٤) : بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ج٣ ص١٣٥ هامش ٢و٣ .

وما يعتريهم من آثار الشرب . وصداع السكر وتردّد الكاتب في إصدار حكم حول مسألة الخمر في همزيته : فتارة يظن أن وجود عنصرين متغايرين في هذه القصيدة هو من صنع الرواة . وتارة يجنح إلى التمول بأن حساناً قد أنشد المقدمة في الجاهلية ، ثم بنى عليها في الإسلام (٢١) .

واستغرب الدكتور يحيى الجبوري من عودة حسان لذكريات الجاهلية ، وتغنّيه بالخمرة التي حرّمها الإسلام ، خاصة في يوم انتصار الإسلام ، وبدا له (كما افترض السهيلي ثم الدكتور خلف الله) أن المطلع ووصف الخمرة كان مما قاله حسان في الجاهلية . ثم نظم في الفتح قصيدته التي تبدأ بقوله :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لمْ تَرَوْهَـــــا
تُثِيرُ النَّقْعَ موعدها كَـــــذاءُ

وبدا له كذلك أنّ الرواة رأوا اتفاق القصيدتين في البحر والقافية . فظنوهما واحدة . فرويت بالشكل الذي اتت في ديوانه (٢٢).

والجدير بالذكر هنا : أن النقاد القدماء كانوا يصدرون في كثير من أحكامهم عن تحرج ديني ، فلا يستطيعون الذهاب في حلّ هذه المسألـــة أكثر مما صنعوا أو أن يتجاهلوا الخوض في الحديث عنها ، من مثل ماصنع ابن هشام ، أمّا الباحثون المحدثون (من الطائفة الأولى) فكان بامكانهم أن يذهبوا مذاهب شتى في هذه المسألة ، إلاّ أنّهم قصروا أنفسهم على النقل عن القدماء وترديد افتراضاتهم وادلتهم .

---

(٢١) محمد ابراهيم جمعة : حسان بن ثابت (سلسلة نوابغ الفكر العربي رقم ٣٤)دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ، ص٥١ وص٦٤ .

(٢٢) الدكتور يحيى الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ط٢ مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١ ص٦٩ وص٧٠ .

ب — **الطائفة الأخرى** : محّصت هذه الطائفة أقوال القدماء في هذه المسألة ورأت غير ماراوا .

فربط الدكتور يوسف خليف المسألة بتلك المزاوجة الفنية بين التيار القديم والتيار الجديد التي قام عليها شعر حسان وشعر غيره من المخضرمين ، خاصة أنّ حساناً نظم همزيته في أعقاب صلح الحديبية ، وأنها من شعره الإسلامي الثابت الذي لايحيط به شك ،ولا تحوم حوله شبهة من وضع أو انتحال ، وهذه القصيدة تمثل المزج بين العناصر الجاهلية الموروثة والعناصر الإسلامية المستحدثة (٢٣) .

واستعرض الدكتور سيد حنفي حسنين تعليل القدماء لهذه الظاهرة ، وقال إن رأيهم ضعيف ، إذ لم يكن صعباً على حسان أن يبدأ في نظم قصيدة جديدة وخاصة أنها في مدح الرسول وفي استعداد ليوم عظيم ، وهو يوم فتح مكة . غير أن القدماء استعظموا الأمر ، ولم يجدوا سوى تعليلهم هذا . وقال : ربما نظمها حسان قبل تحريم الإسلام للخمر تحريماً نهائياً . وخاصة أننا نجد في رواية لابن سلام ، أنّ هذه القصيدة أول مانظم حسان في الإسلام ،ثم رأى الكاتب أنّ ذكر الخمر فيها تقليد للفن الجاهلي القديم (٢٤) .

واشار الدكتور إحسان النص الى ماأثاره وصف حسان الخمرة في هذه القصيدة الإسلامية التي تشتمل على مديح للرسول عليه السلام من أقاويل القدماء .ووضح بعد ذلك أن الناظر في القصيدة يتبين بيسر انسجام أقسامها وتسلسلها ووحدتها الفنية ، وأن القسم الأول منها لايستقل بنفسه . وفضل أن

---

(٢٣) الدكتور يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ، دار الثقافة ،القاهرة ١٩٧٦ ص٤٢ .

(٢٤) الدكتور سيد حنفي حسنين : حسان بن ثابت،شاعر الرسول (سلسلة أعلام العرب رقم٣٠) مطبعة مصر ١٩٦٤ : ص١٧٠ وما بعدها .

يقال: إن حسانا إنما يصف هذا المطلع أيام شبابه ولهوه. يوم كان موعنا بالخمرة والغيد الحسان. فهو من قبيل تذكر أيام الصبا وليس تصويراً لحياته في الإسلام. وحاول بعد ذلك تحديد تأريخ نظم القصيدة ، فجعله في السنة السابعة للهجرة معارضاً بذلك ابن هشام. (٢٥)

ومن هذه الاراء يمكن أن نستخلص مايلي :-

- أن القصيدة (مقدمتها التقليدية وموضوعها الرئيسي) نظمت في الإسلام.
- ان القصيدة نظمت قبل تحريم الإسلام للخمر تحريماً نهائياً .
- ان المزاوجة الفنية بين التيار الجاهلي والتيار الإسلامي كانت طابع عصر المخضرمين .
- أن ذكر الخمر ماهو إلا تقليد للفن الجاهلي .

تفسير مسألة الخمر :

آراء هذه الطائفة من الباحثين المحدثين تعود الى محاولة تفسير هذه المسألة تفسيراً تأريخياً دينياً. وتفسيراً فنياً .

أ- التفسير التاريخي الديني : وأما التفسير التأريخي الديني فهو محاولة تحديد تأريخ نظم القصيدة ثم تاريخ تحريم الخمر في الإسلام تحريماً نهائياً .

أما تأريخ نظم القصيدة فيمكن تحديده من خلال تحليل بعض الأبيات الواردة في القصيدة نفسها .

فمن الواضح أنها نظمت بعد غزوة بني المصطلق من خزاعة ،المعروفة بغزوة المُرَيْسيع نسبة الى ماءٍ لهم دار القتال حوله،لأن حسان بن ثابت يتحدث

(٢٥)- الدكتور احسان النص : حسان بن ثابت ، حياته وشعره ، ط٣ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥م ، ص٢٧٠ وص٢٧٨ .

في القصيدة عن هذه الغزوة، ويفتخر بأن هزيمة بني المصطلق كانت شفاء لما في صدور المسلمين من ناحيتهم ،بسبب ما كان من محاولة الحارث بن ضرار قائدهم وسيدهم تجميع القبائل ضد المسلمين .وذلك في قوله في الأبيات الأخيرة من القصيدة : (٢٦)

فإمّا تَثْقَفَنَّ بنو لُؤَيٍّ
جَذِيمةَ إنَّ قَتْلَهُمُ شفاءُ

أولئك معشرٌ نصروا علينا
ففي أظفارِنَا منْهُم دماءُ

وحلْفُ الحارث بن أبي ضِرارٍ
وحلفُ قُرَيظةَ منّا بَراءُ

وجَذيمة الذي يذكره في البيت الأول من هذه الأبيات هو المصطلق بن سعد الذي تُنسب إليه القبيلة .

وهذه الغزوة حدثت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة أو من السنة السادسة على خلاف بين المؤرخين (٢٧) ؛ وهذا يعني أنّ القصيدة نُظمت بعد هذه الغزوة .

---

(٢٦) حسان بن ثابت: ديوانه ص ٧٦ وما بعدها. وثقفه : صادفه أو ظفر به. وبنو لؤي : يريد بهم قوم النبي عليه السلام من المسلمين ، ولؤي :جد أجداده صلى الله عليه وسلم . وجذيمة: يريد بني المصطلق الذين غزاهم النبي عليه السلام فوجدهم على ماء يقال له المريسيع ، فقاتلهم وسباهم ،وفي السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي زوج النبي (ص)، وهي ابنة الحارث الذي أشار إليه الشاعر في البيت الثاني من هذه الأبيات، وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك ، وقريظة : قبيلة يهودية من القبائل التي كانت تنزل المدينة، وكان بينها وبين المسلمين عهد فنقضته وتحالفت مع المشركين ضدهم- وقوله: « منا براء» مبالغة في إعلان تبرؤ قومه من هذه الأحلاف ، ولهذا تلب التعبير فلم يقل« نحن براء منهم»، و«وإنما قال « هم براء منا» .

(٢٧) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ ص٢٠٤ ويرى أن الغزوة كانت في السنة ٦هـ . النويري (احمد بن عبد الوهاب ٨٢٣هـ/١٣٣١م): نهاية الأرب في فنون الأدب نسخة مصورة عن طبعه دار الكتب مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، ج ١٧ ص١٦٤، ويرى أن الغزوة كانت في السنة الخامسة للهجرة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : فإنّ القصيدة نُظمت في أعقاب صلح الحديبية بعد نزول سورة الفتح : لأن حسانا يتوعد قريشاً فيها بفتح مكة ، مستلهماً وعد الله تعالى للمسلمين بدخول مكة وفتحها على أيديهم ، وهو الوعد الذي بشّر الله به المسلمين في هذه السورة في قوله تعالى (٢٨) «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلنّ المسجد الحرام ، إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصّرين لاتخافون ، فعلم مالم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً» . وذلك في قوله مخاطباً أهل مكة : (٢٩)

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لَمْ تروْهَا
تُثير النّقْع موعدها كَداءُ
يُبارين الأسنّة مُصْغيات
على أكتافها الأسَلُ الظّماءُ
تظلُّ جيادُنا مُتَمطّرات
تُلَطّمهُنّ بالخُمُر النّساءُ
فإمّا تَعْرِضُوا عنّا اعتَمَرْنَا
وكان الفتحُ وانكشف الغطاءُ

فهو يتخيل خيل المسلمين تسابق الأسنة المشرعة فوق ظهورها لما يخيل لها من أنّها تحاول أن تسبقها في هذه المباراة الحامية، ويتصور الخيل في اندفاعها السريع المظفر وقد فرّت جموع المشركين من أمامها ، مخلفين وراءهم

(٢٨) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .

(٢٩) حسان بن ثابت : ديوانه ص ٧٣. والنقع : الغبار. وكداء: موضع الثنية التي في أصلها مقبرة مكة، ومنها دخل الزبير بن العوام.والمصغيات: المائل المنحرفات للطعن .والأسل : الرماح ، ومتمطرات : خارجات من جمهور الخيل من سرعتها ، ويقال: تمطر الفرس أمام الخيل إذا سبقها ..خارجا منها. والخمر : جمع خمار وهو ماتغطي المرأة به رأسها ووجهها . والفتح : يريد به فتح مكة. وانكشف الغطاء: وضح الأمر وزال اللبس ، وظهر الحق .

نساءهم . يضربن الخيل بخمرهن التي كشفنها عن وجوههن ورؤوسهن ، في محاولة يائسة لردها عن طريقها ، وهذا القول فيه إهانة لهم ، لفرارهم وتخليهم عن نسائهم . وأيضاً لخروج النساء سافرات كاشفات رؤوسهن ووجوههن . وقد حدث هذا فعلاً يوم الفتح فقد خرجت نساء قريش يعترضن خيل المسلمين ويضربنها بخمرهن ، وابن هشام يروي في سيرته عن الزهري أنه قال : «لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه» (٣٠) .

ومن المعروف أن صلح الحديبية حدث في آخر السنة السادسة للهجرة . وأن سورة الفتح نزلت في طريق العودة من الحديبية . وهي تتحدث عن الصلح وتجعله فتحاً مبيناً ، وتعرض لموقف أولئك الذين ارتابوا فيه ، وتبشر المسلمين بفتح مكة (٣١) .

وأما تاريخ تحريم الخمر تحريماً نهائياً : فالعلماء مختلفون حوله : فبعضهم (ومنهم القرطبي) يذكر أنها حُرِّمت بعد غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة (٣٢) ، وبعضهم يذكر أنها حُرِّمت عام الفتح سنة ثمان : وعليه أكثر المفسرين ، يقول الشوكاني (٣٣) : قال أهل العلم والمفسرون وغيرهم : كان تحريم الخمر بتدريج ، لأنهم كانوا قد ألفوا شربها ، وحببها الشيطان

---

(٣٠) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٤ ص ٣٣ .

(٣١) انظر : المصدر السابق ج٣ ص ٢١٢ وص ٢٣٢ ، والقرطبي (ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١/ ١٢٧٢م) : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، نسخة بالاوفست عن طبعة دار الكتب ودار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٥م. ج ١٦ ص ٢٥٩ ، يقول : سورة الفتح مدنية بإجماع نزلت في شأن الحديبية. والشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤)م : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، نشره محفوظ العلي ، بيروت (بلا تاريخ) ج ٥ ص٤٣.

(٣٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٨٥ .

(٣٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٧٤ .

إلى قلوبهم . فأول مانزل في أمرها قوله تعالى (٣٤) : «يسألونك عن الخمر والميسر . قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما» «فترك عند ذلك بعض من المسلمين شربها ؛ ولم يتركه آخرون ثم نزل قوله تعالى (٣٥)» : «ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون» . فتركها البعض أيضاً . وقالوا لاحاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة حتى نزلت هذه الآية (٣٦) «ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» ، فصارت حراماً عليهم . حتى كان يقول بعضهم : ماحرّم الله شيئاً أشد من الخمر ، وذلك لما فهموه من التشديد فيما تضمنته هذه الآية من الزواجر ، وفيما جاءت الأحاديث الصحيحة من الوعيد لشاربها ، وأنها من كبائر الذنوب.

وتحريم الخمر تحريماً نهائياً (كما هو واضح في قول الشوكاني) ورد في سورة المائدة . وهي آخر سورة نزلت ، فقد روى عن السيدة عائشة أنها قالت : «سورة المائدة آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه . وما وجدتم من حرام فحرّموه» (٣٧) .

وسورة المائدة نزلت بعد سورة الفتح ، وبينها وبين سورة الفتح نزلت سورة التوبة ، فترتيب السور الأخيرة وفق نزولها هو ، سورة الفتح ، ثم سورة التوبة ، ثم سورة المائدة .

والواضح إذن أن تاريخ نظم القصيدة كان بعد نزول سورة الفتح ،وأن تاريخ تحريم الخمر تحريماً نهائياً جاء في سورة المائدة ،فتاريخ نظم القصيدة

---

(٣٤) سورة البقرة، الاية ٢١٩ .
(٣٥) سورة النساء، الاية ٤٣ .
(٣٦) سورة المائدة، الاية ٩٠ .
(٣٧) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص٣ .

سابق لتاريخ تحريم الخمر تحريماً نهائياً (٣٨) .

فالمقدمة التقليدية التي يتحدث فيها حسان عن الخمر نُظمت مع موضوع القصيدة الأساسي قبل تحريم الخمر تحريماً نهائياً ، في الفترة التي كان بعض المسلمين لايزالون يشربونها (كما لاحظنا في قول الشوكاني) وهم الذين نزل فيهم وفي غيرهم من المسلمين ممن لم يدركوا التحريم قوله تعالى : (٣٩) « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا إذا مااتّقَوْا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتّقَوْا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين» . فهذه الآية نزلت رداً على تساؤل بعض الصحابة الذين قالوا لما حُرّمت الخمر : كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس»؟ (٤٠)

وهذا التحديد لتاريخ نظم القصيدة يخالف ماذهب اليه ابن هشام وبعض رواة ديوان حسان ، من أنّ حساناً نظم هذه القصيدة يوم الفتح (٤١) ، لأنّ أبيات القصيدة كلّها لا إشارة فيها إلى أنّ الفتح قد تم فعلاً ، وإنّما هي وعيد وتهديد بفتحها على أيدي المسلمين .

هذا بالإضافة إلى أنّ الشاعر أبا سفيان بن الحارث كان قد دخل في الإسلام قبل أن يتم الفتح أو يوم الفتح قبل دخول مكة ، وأن حساناً هجا أبا سفيان في هذه القصيدة قبل فتح مكة بقوله : (٤٢)

---

(٣٨) انظر الفيروز أبادى(مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤): بصائر ذوي التميز في الطائف الكتاب العزيز ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت(بلا تاريخ)، ج ١ ، ص٩٩.

(٣٩) سورة المائدة: الاية ٩٣ .

(٤٠) انظر: القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص٢٨٥ وما بعدها. والشوكاني : فتح القدير، ج ٢، ص٧٤ وما بعدها، وغيرهما من كتب التفسير .

(٤١) ابن هشام: السيرة النبوية ،ج ٤، ص٣٠ وص٣٢ . وحسان بن ثابت : ديوانه، ص٧١ هامش ١ .

(٤٢) حسان بن ثابت: ديوانه، ص٧٥.

ألا ابْلغْ أبا سفيان عنّـــي
فأنتَ مُجوّف نَخِبٌ هواءُ

فلا يمكن أنْ يهجو حسان أبا سفيان بهذا الشعر وهو مسلم .

ب ـ **التفسير الفني للمسألة** :حسان في مطلع همزيته يرسم صورة للطلل : يحرص فيها على أن يقيم تقابلاً بين الماضي والحاضر ، في لحظة شعرية قصيرة يختزل فيها الزمن اختزالاً في صور جزئية يبنيها من عناصر مختلفة من البيئة الطبيعية من حوله ، يقول : (٤٣)

عَفَتْ ذاتُ الأصابع فالجـــواءُ
إلى عذراء منزلها خَـــلاءُ
ديارٌ من بني الحَسْحَاسِ قَفْـــرٌ
تُعفّيها الرَّوامسُ والسّمـــاءُ
وكانَتْ لايزالُ بها أنيْـــسٌ
خلال مُروجها نَعَـمٌ وشَاءُ

فهو يمضي في اختزال الزمن في لحظات متنوعة ، فيقابل بين صور الخراب ومظاهر الحياة في الأطلال ، وبين ذكريات الماضي وأحداث الواقع : في صور يشخّص بها هذه الذكريات ، وكأنّه يعايشها من خلال حركة الرّياح ونزول الأمطار وحياة الحيوان .

وهو يحرص في رصد ذكرياته على تحديد الأماكن الشاميّة التي كان يمر بها عندما كان يتردد على الغساسنة : فذات الأصابع والجواء ، وعذراء أسماء مواضع ببلاد الشام كانت من منازل الغساسنة الذين كان حسان كثير التردّد عليهم والمدح لهم في الجاهلية ، وقد استخدم الفاء في العطف بينها ،

(٤٣) المصدر السابق ، ص٧١ وص ٧٢ .

وهي تفيد التتابع السريع دون تراخ . فكأن هذه المواضع على تباعدها في المواقع متقاربة في نفس الشاعر . تهاوت من بينها حواجز المكان . وتلاشت المسافات . فأصبحت كلها تمثل شيئاً واحداً في نفسه .

وهو يؤكد على ذكر الأسماء : فهذه الديار لبني الحسحاس أيام الجاهلية وذلك الطيف لشعثاء يزوره في منامه في حاضره، يستجير له الماضي ، فيختصر الزمن ، ويقصّر المدى ، ويتركه مع الذكريات مؤرقاً .

وهو بيني صوره عن طريق المقابلة بين المواقف المختلفة : وهي صور يختزل فيها حسان لحظات بعينها : وهي لحظات أيامه الأولى عند الغساسنة بالشام : فهو يقابل بين العمار والخراب كما هو واضح في البيتين الثاني والثالث . فماضي هذا الطلل ممتلىء بالحياة والحب : وحاضره قفر خرب : ويلحّ على رصد الذكريات التي تتداعى بسبب ملاحظته لبقايا الديار . وهي ذكريات الأمس البعيد أو القريب . وما فيها من خمر كان يلتجيء إليها في زمانه الذي ولّى . يقول : (٤٤)

إذا ماالأشرباتُ ذُكرنَ يوماً
فَهُنَّ لطيب الرّاح الفداءُ

نُولّيها الملامة إنْ ألَمْنَا
إذا ماكان مَغْثٌ أو لحاءُ

ونَشْربَهُا فَتتركُنا مُلُوكاً
وأُسْدٌ ماينَهْنَهُنَا اللّقاءُ

فهو يفديها بكل أنواع الشراب : ويحملها وحدها تبعات الخصام والشر والمنازعة التي تحدث بين الشاربين عندما تذهب بعقولهم، ويصف ماتخيله

(٤٤) المصدر السابق ص ٧١ و ص ٧٢ .

لشاربيها في لحظة سكر ، من أنهم أصبحوا ملوكاً أو شجعاناً .

فالبعد الزمني عنده لايخضع لحركة الأرض والشمس ، وتعاقب الأيام والفصول والسنين . وإنما يخضع لحركة نفسيته التي تجعله يعبر عن الشعور بالزمن بطريقة يدرك فيها بأحاسيسه المرتبطة بتجاربه جريان الوقت في ذاته ؛ فهو حينما يذكر الديار ويشبب بالمحبوبة ، ويذكر طيفها ؛ ويتغنى بالخمر يعني أنه رهن حالة من الشوق إلى الماضي ، وأنه يسحب ماضيه إلى حاضره وأنه ليس له من وسيلة سوى الذاكرة .

والتعلق بالماضي طبع في الإنسان ، فقد كان بعض أصحاب رسول الله (ص) يتحدثون بأخبار الجاهلية ، ويقول قائلهم : ودّدت أنّ لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية (٤٥) .

موضوع القصيدة الأساسي :

القسم الثاني : موضوع القصيدة الأساسي : إذا ماتركنا المقدمة التقليدية من القصيدة ، واستعرضنا موضوعها الأساسي لنبين الترابط الفني المحكم بينه وبين المقدمة ، سنرى أنه يمكن أن يُجزأ إلى أربعة أجزاء هي (٤٦) :

---

(٤٥) ابن عبدربه (احمد بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٢٩م) : العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ودار الكتاب العربي ، بيروت(بلا تاريخ) جدص١٣٢ (الدرة الثانية) .

(٤٦) فكرة تقسيم موضوع القصيدة الأساسي الى أربعة أجزاء مستمدة من كتاب د. يوسف خليف (تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي) وهي فكرة يهدف صاحب الكتاب منها تأكيد ظاهرة المزاوجة بين التيار الجاهلي القديم والتيار الإسلامي الجديد ، او المزج بين العناصر الجاهلية الموروثة والعناصر الإسلامية المستحدثة (انظر : د. يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي، ص٤٢ وما بعدها)، ولكن هذا البحث يهدف منها إلى أن بناء القصيدة الفني في مقدمتها وموضوعها الأساسي بناء واحد يتمثل فيه انسجام أقسامه وتسلسل وحداته الفنية ، وأن القصيدة(استناداً إلى ذلك) نظمت في فترة زمنية واحدة .

الجزء الأول : وفيه يهدد أهل مكة بفتحها على أيدي المسلمين ،ويتوعدهم بأن يخلّوا لهم سبيل العمرة ، وإلاّ فليستعدوا لقتال مرير ، يعين الله المسلمين فيه بالملائكة ، ويكتب لهم النصر ، يقول (٤٧) :

عَدِمْنَا خيلنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَـــا
تُثيرُ النقعَ موعدُها كَـــداءُ

يُبارين الأسنّة مُصْغيـــــات
على أكْتَافِهَا الأسَلُ الظّمـاءُ

تَظَلّ جيادُنـا مُتمطـــرات
تُلَطّمهُـنّ بالخُمُرِ النّـــساءُ

فإمّا تُعرِضُوا عنّا اعتمرنَـــا
وكان الفتحُ وانكشف الغطـاءُ

وإلاّ فاصبروا لجلادِ يـــــومٍ
يُعينُ اللهُ فيه مَنْ يَشـــاءُ

الجزء الثاني : وفيه يفتخر بقومه الأنصار ، فقد آمنوا برسول الله (ص) حين دعاهم إلى الإسلام بينما كفرت به قريش ، ثم وقفوا معه جنداً من جنود الله في وجه أهل مكة المشركين ، يدافعون عن الإسلام بألسنتهم وسيوفهم يقول (٤٨) :

وقال الله قد يَسّرتُ جنـــــداً
هُمُ الأنصارُ عُرضَتُهـا اللقاء

---

(٤٧) حسان بن ثابت : ديوانه ص ٧٣ .
(٤٨) المصدر السابق ص ٧٤ .

لنا في كلّ يومٍ من معَـــد
قتالٌ أو سبابٌ أو هجـــاءُ

فنحكمُ بالقوافي مَنْ هجانَـا
ونَضرب حيثُ تختلطُ الدّمـاءُ

وقال الله قَدْ أرسلتُ عبـــداً
يقولُ الحق إنْ نَفَـع البَـلاءُ

شهدتُ بـه فقوموا صَدّقُـوهُ
فقُلتُم لانُجيبُ ولا نـــشاءُ

وجبريـلُ أمينُ اللهِ فينـــا
وروحُ القُدُس ليس لـه كفاءُ

الجزء الثالث : وفيه يرد على أبي سفيان بن الحارث هجاءه للنبي (ص) ويتهكم على شعراء قريش .ويعلن أنه سيدافع عن النبي . وهو لايرجو من وراء ذلك إلا جزاءه من عند الله ، وينكر عليه هجاءه للنبي وهو ليس كفئاً له ، ثم يعلن أنه مستعد لفدائه (عليه السلام) بكل مايملك ، وبكل مايعتز به يقول (٤٩) :

ألا أبلـغْ أبا سفيان عنّـــي
فأنت مُجَوّف نَخب هواءُ

فَمَنْ يهجو رسول الله منكـــم
ويمدحُه وينصرُه ســـواءُ

---

(٤٩) المصدر السابق ص٧٥ .

هجوت محمداً فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاكَ الجزاءُ
أتهجوهُ ولست لهُ بكُفْو
فشرّكُما لخيركُمَا الفداءُ
فإنّ أبي ووالده وعرضي
لعرضِ محمد منكم وقاءُ

الجزء الرابع : وفيه يشير إلى بعض الأحلاف التي تألبت ضد النبي عليه السلام ، وتحالفت في وجه دعوته الإسلامية . وتآمرت عليه وعليها ،ويعلن براءته وبراءة قومه الأنصار منها ، يقول : (٥٠)

فإمّا تَثْقَفَنَّ بنو لُؤيٍ
جَذيمة إنّ قَتْلَهُمُ شفاءُ
أولئك معشرٌ نصروا علينَا
ففي أظفارِنا منْهُم دماءُ
وحلفُ الحارث بنِ أبي ضرارٍ
وحلفُ قُريظةٍ منّا بَراءُ

ثم يختم قصيدته ببيت يفتخر به بشعره على أبي سفيان،وأمثاله من شعراء مكة المشركين يقول (٥١) :

لساني صَارِم لاعَيب فيهِ
وبحري ماتُكَدِّره الدّلاء

---

(٥٠) و(٥١) المصدر السابق ص ٧٦ وص٧٧.

في الأداء الفني

هذه الهمزية تجري على منهج القصيدة الجاهلية المعروف ، فهي تبدأ بمقدمة تقليدية يصف فيها الأطلال . ويذكر طيف صاحبته شعثاء ، ويتغنى فيها بالخمر ، ثم يخرج بدون تمهيد الى موضوع القصيدة الأساسي الذي جزىء الى اربعة أجزاء (٥٢) .

والشاعر في اجزاء القصيدة كلها(كما أشرنا في التفسير الفني لمسألة الخمر) يحرص على ان يقيم تقابلا بين الماضي والحاضر في لحظة شعرية قصيرة يختزل فيها الزمن .

ففي الجزء الأول الذي يتضمن تهديد قريش ، نراه يدور في دائرة جاهلية قديمة ، وفي هذه الدائرة نرى الخيل تثير النقع ، وتباري الأسنة ، والفرسان على صهواتها يحملون رماحاً ظامئة الى دماء الأعداء ، وأهل قريش يعيرون بالهزيمة والفرار . وترك النساء كاشحات سافرات . ونراه يختصر الزمن ، ويقصر المدى ، فيخرج من هذه الدائرة الجاهلية الى الدائرة الإسلامية التي يتحدث فيها عن العمرة ، وانكشاف الغطاء ، ونصر الملائكة للمسلمين في قتالهم للمشركين .

وهو في الجزء الثاني يجمع بين الماضي والحاضر في موضوع الفخر ويعلن امتلاكه لحرية الفعل في الحاضر المجيد ، كما امتلكها من قبل أجداده فيفتخر بأنتصار قومه الأنصار اليمنيين على أهل مكة المضريين في ميادين القول وميادين القتال . فنراه يدور في دائرة جاهلية قديمة ، ثم لايلبث ، أن يخرج من هذه الدائرة الى الدائرة الإسلامية .ليفخر بالإسلام ، ومسارعة

(٥٢) يستفيد البحث في هذه الدراسة الفنية (كما أشرنا في هامش ٤٦) من دراسة د. يوسف خليف ، ظاهرة المزاوجة بين التيار الجاهلي القديم والتيار الاسلامي الجديد التي قدمها في كتابه «تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ص٤٢ وما بعدها» .

قومه الى اجابة دعوته . وتصديق نبيه . ويمتز بوقوفهم الى جانب النبي عليه السلام للدفاع عن الدين جندا من جنود الله المخلصين .

وكذلك في الجزء الثالث الذي يرد فيه على ابي سفيان بن الحارث : نراه يجمع في موضوع الرد والهجاء بين الدائرتين: الجاهلية والإسلامية فيقابل بين الماضي والحاضر: فتتلاشى عنده حدود الزمن كما تلاشت حدود المكان فتراه يهجوه بالجبن والهلع على الطريقة الجاهلية، ثم لايلبث أن يعلن أنه يرد عن النبي هجاء الشعراء المشركين، وأنه لاينتظر الا جزاء الله على الطريقة الاسلامية . والبعد الزماني في هذا الجزء . يأخذ خصائص هذا الموضوع الهجائي فيكون شديداً في وقت العداوة والحرب: وتأتي كلماته ومعانيه قوية : وتسلك سبيل الفخر والهجاء .

وأما الجزء الرابع (وهو خاتمة القصيدة) فقد تلاشت فيه الحدود الزمانية بين الماضي والحاضر. تداخلت الدائرتان: الجاهلية والإسلامية في دائرة واحدة يتحدث فيها بأسلوب جاهلي وألفاظ اسلامية عن الأحلاف التي تآمرت على النبي ودعوته وبراءة قومه منها .

وإذا ما حاولنا وضع أقسام القصيدة وأجزائها في وحدات توضح التقابل بين الماضي والحاضر في لحظة شعرية قصيرة يختزل فيها الزمن. نلاحظ بيسر انسجام أقسامها وتسلسلها ووحدتها الفنية .

نلاحظ أن القسم الأول (المقدمة التقليدية) لايستقل بنفسه . ولا يدور حول موضوع يجعل منه قصيدة قائمة بذاتها . وأن القسم الثاني (موضوع القصيدة) بأجزائه كلها تمتزج فيها العناصر القديمة والعناصر الجديدة ، وأن دوائر القصيدة كلها من مقدمتها إلى خاتمتها تتداخل تداخلا موضوعياً وفنياً لتشكل هذه الهمزية .

خاتمـــة

يدور هذا البحث في فلك مسألة الخمر في همزية حسان الإسلامية ، فيعرض أجزاء مقدمة هذه القصيدة التي تتحدث عن الطلل والغزل والخمر ، ويناقش آراء النقاد القدامى والباحثين المحدثين المتباينة في مسألة ذكر الخمر في مقدمتها ويحاول تفسيرها ، إذ يتوصل إلى أن القصيدة نظمت قبل تحريم الخمر تحريماً نهائياً ، وأن ذكر الخمر كان من باب تذكر أيام الشباب والنهو الماضية ، وليس تصويراً لحياته في الإسلام .

ويكشف من خلال تحليل أبياتها ، وعرض مقدمتها ، وموضوعها الأساسي عن أن الشاعر كان يجمع بين الماضي والحاضر في لحظة شعرية قصيرة يختزن فيها الزمن.

ولعل أهم ماانتهت إليه في هذا البحث :—

— أن الهمزية من شعر حسان الإسلامي المؤكد . وأن أبياتها كلها نُظمت في الإسلام .

— أن المقدمة التقليدية تشكل وأقسام القصيدة الأخرى وحدة فنية واحدة تتميز بالانسجام والتسلسل .

أن القصيدة نظمت قبل تحريم الخمر تحريماً نهائياً .

— أن البعد الزمني الذي يخضع لحركة نفسية الشاعر ، ويُعبر عن شعوره وأحساسه وخبرته في جريان الوقت ، ويسحب الماضي إلى مسرح الحاضر — سمة فنية تُفسّر هذا النص الشعري وبخاصة المقدمة التقليدية .

- الدكتور إحسان النص : حسان بن ثابت ، حياته وشعره ، ط٢ ، دار الثقافة ، دمشق ١٩٨٥ .

- الآلوسي (محمود شكري ت ١٩٢٤) : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرح محمد بهجة الأثري ، الطبعة الثانية (بلا تاريخ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- البغدادي (عبدالقادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة (تواريخ متعددة وفق الأجزاء) .

- حسان بن ثابت (ت ٤٠هـ تقريباً /٦٦٠م):

١. ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، دار المعارف بمصر ١٩٨٣ .

٢. ديوان حسان بن ثابت ، شرح عبدالرحمن البرقوقي ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٦ .

- الحموي (ياقوت ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان : دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

- الدكتور سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، مطابع الرسالة ، الكويت ١٩٨٣ .

- السهيلي (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) : الروض الأنف في تفسير ماشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، ط الجمالية ، القاهرة ١٣٢٢هـ/١٩١٤م .

— الدكتور سيد حنفي حسنين : حسان بن ثابت شاعر الرسول (سلسلة أعلام العرب رقم ٣٠) . مطبعة مصر ١٩٦٤م .

— الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، نشره محمود العلي ، بيروت (بلا تاريخ) .

— ابن عبدالبر (أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق طه محمد الزيني ، ط ١ . مطبعة النجالة الجديدة . القاهرة ١٩٧٠ م .

— ابن عبد ربه (أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٢٩م) : العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ودار الكتاب العربي . بيروت (بلا تاريخ) .

— عبدالاله الصائغ : الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، دار الرشيد . بغداد ، ١٩٨٢ .

— الفيروزبادي (مجدالدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ .

— القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) نسخة بالأوفسيت عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار احياء التراث العربي . بيروت ١٩٦٥.

— محمد ابراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ط دار المعارف (سلسلة نوابغ الفكر العربي رقم ٣٤) مصر ١٩٦٥ .

ـ محمد خلف الله أحمد : دراسات في الأدب الإسلامي . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م .

ـ المرزباني (محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط دار نهضة مصر . القاهرة ١٩٦٥م .

ـ النويري (أحمد بن عبدالوهاب ت ٧٢٣هـ/١٣٣١م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، مطابع كوستاتسوماس . ومطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (تواريخ متعددة وفق الأجزاء) .

ـ ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ/٩٢٥م) : السيرة النبوية تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ط دار التوفيقية ، القاهرة ١٨٧٨م .

ـ الدكتور يحيى الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه . ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ١٩٨١م .

ـ الدكتور يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ، ط دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٦م .